لي ضمير لعين ، ضمير شديد الشعور بالجرم ، وان لم ارتكب ما يثقله بمثل هذا الشعور . لعل علماء النفس يقولون إنني مصاب « بمركب الجرم » ، ويجدون في ذلك مدخلاً الى كوامن عقلي التي ليس لي علم بها . لست ادري . ولكن يزعجني ان اشعر بأن للناس علي حقاً ، واذا لقيت استياء منهم ، خيل الي في الحال انني أذنبت اليهم ، وان لم أعلم بذلك . وبصراحة ، انني كلما رأيت شرطياً ، هبط قلبي خوفاً لبرهة كأنه سيلقي القبض علي . واكاد احياناً عند مرأى الشرطي أمر به كاص يتسال لصق الجدار .

لقد سمعت منذ بضعة ايام ان «اميرة عائش» قد تم طلاقها ، إثر فضيحة اثارت في مجتمعات المدينة الهمس واللغط ، اللمز والتصريح . ومع انني لم أر أميرة منذ ما ينيف على السنوات الثلاث ، فقد اضطرب ضميري ، وانتابني كثير من تقريع النفس . غير انني حين استعرض ما وقع لي معها في تلك الأشهر القليلة قبل زواجها ، اكاد اضحك من نفسي وانقم عليها معاً . لانني ان كنت اجرمت معها ، لم ابالغ في جرمي بحيث اعد نفسي مسيئاً اليها ، منتصراً عليها ، ولو عن غير حق . ولكن من الذي اساء الى الآخر ؟ أليست هي التي اساءت الي ؟ — وضميري ، رغم ذلك ، ما زال في اضطراب . وإلا فلماذا لا اتناسى ما حدث ، وانام قرير العين دون الحاجة الى الإعتراف ؟

لقد نالت مني حباً كانت هي في حاجة اليه . ولا ريب انها كانت تتألم حسرة لو سمحت لفرصة الهوى بالضياع . وقد قالت في كثير من البساطة انها لن تحرم نفسها من الحب ، مهما كانت العواقب . وما الذي يهمها ان عرف الجيران واهل الحي بذلك ؟ « كلهم اموات : فقد ماتوا من جوع قلوبهم . » هذا ما قالته ، لكي تخفف من قلقي كلما خشيت الفضيحة في الحي .

ولكن ألم استدرجها انا الى مثل ذلك العزم إزاء الناس ، وانا الهو بحبها لجلو السأم عني وقلبي خلو من عواطفها وعزمها ؟ الم اغوها ، ممهداً لها طريق الزلل ؟ لا ، انني لم اغوها . وكل ما في الامر هو اننا التقينا في ظروف ولكن ما لي اراني اعتذر من جديد ؟

كان لقاؤنا في شارع يمشي كلانا فيه كل يوم عدة مرات . فقد كنا نسكن نفس الحي ، وكان هذا الشارع الطريق الوحيد الذي يصل حيّنا بالمدينة . وهو شارع كثير الحركة في النهار ، واصحاب الحوانيت فيه كثيرو الربح ، لأنهم يتجرون بالاقمشة والحرائر ، وزبائنهم في الغالب من النساء — والنساء مورد الربح في كل تجارة . او لا يختلقن لانفسهن في كل لحظة حاجة جديدة لا بد من ارضائها ؟

ولكنه مع هذا شارع خلفي . فاذا ما هبط الظلام ، اختفت الالوان الزاهية المعروضة في واجهاته ، وتحول الى طريق كئيب ، تكاد اضواؤه المتباعدة تعجز عن تشتيت ظلماته . ويسمع الماشي فيه وقعاً لاقدامه يتردد صداه ، فيذكر سكون الموت ووحشة القبر .

وكنت كل ليلة اخوض ذلك السكون وتلك الوحشة ، فأجد فيهما ترديداً لما في نفسي من وحشة وظلمة . وكان يروق لي ان ارى ظلالي تطول وتقصر وتتمازج كلما دنوت من الانوار الضئيلة ، فأتخيل ان الشارع في نهايته يلتوي ليتصل بعالم آخر من الأخيلة والظلال . واشعر ان النساء اللواتي يمشين فيه طولاً وعرضاً اثناء النهار ، جادات في طلب النفيس والرخيص يكسين به ابدانهن ، يخلفن فيه رغباتهن ، فتنطلق في الليل موشحة بالسواد لكي تهاجم المارة في الظلام على حين غرة .

وقد قيض لي ان امسك بكلتا يدي ببعض تلك الرغبات الهائمة بين جوانب ذلك الشارع ، بعد ان هاجمتني بدون هوادة . فقد كنت بلا عمل منذ انهائي الدراسة الجامعية قبل اشهر ، وقد عجزت عن ايجاد عمل يغنيني ، على الاقل ، عن طلب العون من ابي ، والسأم ينخر في ذهني حتى غدوت متعب النفس ، وما بي عزم على مقاومة اي اغراء . ولذلك عندما التقيت بأميرة هناك ذات ليلة ، وكلانا راجع الى البيت ، لم اتردد في اخذها بين ذراعي وتقبيل فمها . كنت اعلم ما تبغيه مني تلك الفتاة الضحوك منذ اشهر ، حين كانت تنتظر لحظة مروري جالسة في شباكها ، فتلتهمني بعينيها الواسعتين . غير انني كنت قد مانعت وتكبرت وتجاهلت اغراءها . اما في تلك الليلة فلم يكن لي مجال للممانعة . كما انها اقبلت على عناقي بحرارة انعشتني بعد طول اكتئاب ، فقبلتها ثانية وثالثة .

وبعد تلك الليلة غدا ذلك الشارع الزاخر بالظلال السود مكاناً لقبلاتنا المختلسة ولمساتنا ، نتقابل في زواياه المظلمة ابتعاداً عن الرقباء . وكان على مقربة من دكان نصر سلامة — وهي اكبر دكاكين الشارع — منعطف متستر نتزوي فيه في اكثر الاماسي . ولم نجعل « شارع الظلمات » (كما سميناه) ملتقانا إلا عن اكراه وضرورة ، رغم ما كنا نجد من زراية في الوقوف في زواياه الأمينة . ولكن من اين لنا مكان بعيد عن الاعين بين سكان الحي ، وهم حولنا في ازدحام مستمر لا حيلة لهم به ؟ وقد حاولت اميرة اكثر من مرة ان تختلي بي في بيتنا ، ولكن دون جدوى ، فقالت مرة وهي تضحك : « ان الجيران يحبوننا ، وسوف يراقبوننا حتى الموت حباً بنا ! »

ولكن بعد ايام لم تكن مراقبة الناس لنا ما جعلت اخشاه . لقد جعلت اخشى على اميرة نفسها . فقد ادركت انني لا اشعر نحوها بما كنت اتوقعه من خلجات الحب . لم اقلق لحظة واحدة على اميرة اذا لم تكن معي ، ولم آرق ليلة واحدة اذا لم أرها . واذا تقابلنا في الظلام اجتاحتني شتى الاحاسيس اللذيذة إلا تلك العاطفة الرقيقة الحيية التي يعرفها المحبون . لقد كان قلبي خالياً من الحب الذي يشدو به الشعراء . فما الذي يكون من امرها اذا استرسلت هي في هوى لا اشاطرها اياه ، ثم جابهتها بالحقيقة ؟

ولذلك ، ارضاء لضميريَ ، صارحت اميرة ، باقصى ما استطيع من لباقة في التعبير ، بانني لا ابغي ارتباطاً بها ، ولا ادعي بان حبها يحطمني او انني سأتزوجها . غير انها لم تغضب لكلامي — او هذا ما بدا لي من تصرفها . لعلها ادركت ما كان في نفسي من سأم وخيبة واشمئزاز ، فظنت انها تستطيع بحبها ان تنفي بعضه عني . غير انني اشك في ذلك . لقد كانت — كما صرحت اكثر من مرة — قانعة بما بيننا من حب مهما كان نوعه . لقد وجدت في

علاقتنا يقظة لجسمها ، فاستطابت تلك اليقظة الجسدية ، كأنها قامت من نوم ليل طويل ، لتتمتع بضوء النهار وحرارة الشمس ومرأى الدنيا .

ولم اكن انا لأستطيع التخلي عن علاقتي بأميرة بسهولة ، حتى ولو غضبت لكلامي ، بعد ان وجدت في مقابلاتنا تلك اللذة الحسية التي كنت أحلم بها من سنوات . فقد كان في ملمس جسمها الناعم الشديد اللحم متعة اتحرق الى ذوقها — وان كنت اعلم انها ليست إلا متعة جسدية في وسعي ان انالها من اية امرأة اخرى .

ولذلك رأيتني احطم كبريائي على مهل ، واتمرغ في شهوة مجردة ، بعد ان قصصت غن مشاعري ريش الرؤى الواهية التي كنت ملأت بها دماغي منذ بلوغي الرابعة عشرة . فكأنني اذ ادركت سخف احلامي القديمة ، اخذت اغاقب نفسي على خطاياي الماضية ، خطايا تلك العاطفة التي كنت رفعتها الى مرتبة الاوثان .

ولما بقيت بلا عمل ، اتردد على المقاهي واقرأ الجرائد اكثر ساعات النهار ابتعاداً عن ضجيج الحي وروائحه وذبابه ، جعلت احس كأن شيئاً كنت ازهو بوجوده في ثنايا نفسي ، اخذ ينزف من اطراف اصابعي قطرة قطرة ، حتى لم يبق فيّ منه إلا حثالة طينية ثقيلة .

وكنت كلما فكرت بأمري مع اميرة عائش اجد ان لكلينا مشكلته ، ولكنهما مشكلتان تختلفان كل الاختلاف .

فهي تحاول ان تروي جسدها الصادي ، وتحقق احلامها النسويه . وهي ليست بالاحلام الوردية البريئة التي تداعب نوم العذارى الناهدات ، بل انها احلام المرأة الناضجة بكل ما تنطوي عليها من تقدير للواقع ومجابهة للحقيقة . انها احلام ممكنة التحقيق ، لأنها من بنات الحياة النابضة مع الدم ، الدافقة مع الايام والفصول .

اما انا فكنت ارى كل جزء من اجزاء الحيـاة بالنسبة الى الاجزاء الاخرى . كنت ارى كل دقيقة بالنسبة الى الدقائق التي سبقتها والتي ستليها : انظر الى الخلف والى الامام ، الى الماضي والى المستقبل ، لعلني اتبين هيكل الحياة وشكلها بالتفصيل .

وعندها توضح لي ، وفي شيء من الجزع ، انني غادرت المراهقة ورائي ، وانني الآن اتوغل في الدهاليز المظلمة واقرع ابواب الغرف المغلقة ، وفي نفسي خيبة لا ترد. لقد اكتشفت أن الدهاليز المظلمة ليس فيها إلا فراغ تسري الريح فيه، وان الغرف انما اغلقت عن غير ضرورة، لانها هي ايضاً فارغة — او ان احتوت شيئاً، فلن يكون سوى بضع جيف او هياكل عظمية .

وقد تطرقت يوماً الى هذا الموضوع مع اميرة ، ولكن واأسفاه .

لم تفهم ما ارمي اليه . وللحال امسكتُ عن الكلام وهي تقول : «صوتك جميل ، وشفتاك اجمـل ، وانا اموت على كل كلمة تفوه بها ... » فغيرت الموضوع ، ثم تركتها ، ورحت اطلب صديقاً استطيع ان افرغ ما في ذهني على مسمعه .

فقصدت الى عفيف الاسمر ، ووجدته يعزف على العود .

فأصغيت الى موسيقاه . ثم جعل بصوت منخفض يغني اغنية قديمة يعرف حبي لها . وعما تكون الاغنية الا عن تباريح الهوى ؟ ومع انني كنت سمعتها مرات عديدة ، لم اسلم من تأثيرها في نفسي من جديد . غير انني ثرت فجأة على التألم لتباريح ما عدت اعترف بها ، وقلت :

« هذه آلام عشاق لم يبلغوا العشرين من عمرهم بعد ! »

فقال مقاطعاً اغنيته : « ليس للعشاق عمر » ، واستأنف الغناء .

قلت : « بل لهم . فالعشاق لا يتخطون سن العشرين مطلقاً . »

فتوقف عن الغناء ، ورفع وجهه نحوي ، وضحك .

فقلت : « اسمع يا عفيف . لك ان تضحك ملء شدقيك ، لانك تعلم انني اعلم ان ضحكتك جميلة كغنائك . ولكنك تعلم ايضاً انني اعلم انك لا تؤمن بهذه الاقوال المنمقة التي تدور حولها اغانيك . انما هي الموسيقى التي تؤثر فيّ وفيك وفي الآخرين ، لا العواطف التي تنطوي عليها . »

قال : « اذن اضحيت كلاسيكياً في نظرتك الى الفن ؟ »

قلت : « ليس للاسم اهمية . انما هذا ما توصلت اليه . فانت تعلم ولا شك ان الحياة بعد سن العشرين حلقة إثر حلقة من خيبة الامل . فالمراهق يرى كل شيء جميلاً بل مليئاً بالعجب . والطرقات كلها في نظره مليئة بالإثارة وكل من فيها رمز للحيوية . والنساء كلهن فاتنات : وهو يشعر بنشوة جديدة كلما رآهن يمشين امامه جيئة وذهاباً . ولا ريب انه يعشقهن جميعاً . »

— وما علاقة ذلك بالغناء ؟

— انها علاقة متينة ، حين تنضح كل كلمة بما يعده الولد التواق الى الحياة صبابة الحب وألمه وثمالته . اتذكر كيف كنا نتهيأ لكل « مشوار » نخرج له ، كأننا كلما خرجنا سنبدأ بمخاطرة جديدة نضيفها الى مخاطراتنا السابقة؟ ان خيال المراهق يلاعب الواقع باستمرار ، ويحوله الى ما يريده هو من اشكال تلذ له . لن يضيره انه فقير ، وانه غـير متعلم ، وانه ليس في داره مطبخ نظيف، وان والديه يتشاجران لأتفه الاسباب . لأنه بسحر خياله ينفي عن نفسه كل ما يزعجه من امور الواقع ، ويستحضر في ذهنه جميع اولئك الرجال والنساء الذين يملأون الشوارع لكي يمتع نفسه بعشرتهم . ان الجوع الذي في قلبه يشبعه خياله الغني ، فتتزاوج تصورات طفولته مع رغباته الجسدية التي جعلت تستفيق من نومها الطويل ...

فقال عفيف والعود ما زال في حضنه : « وما الذ تلك اليقظة البطيئة ، حين يكون المرء بين الليل والنهار، بين الحلم والوعي ... اود لو استطيع ان اعبر عن ذلك بالموسيقى . » وعزف نغماً مرتجلاً ، إلا انني قاطعته قائلاً:

« لم افرغ بعد يا عفيف . فانا ما زلت اتحدث عن المراهق الذي يقع في حب امرأة بسهولة ، وينساه بسهولة ليقع في حب آخر : لأن خياله أسرع من تفكيره ، لأنه يعشق الاتساع ولا يعرف العمق ، ويريد في اشهر قلائل ان يختبر لذائذ الكون باجمعها . بل ان خياله ليسبقه في ركضه السريع ، فيقضي الليالي وهو يكتب الرسائل الملتهبة لفتيات لم يتكلم معهن قط ، بل لا يعرف حتى اسماءهن . ويصور رؤاه باسلوب مزخرف كثير المجاز والاستعارة ، ويستبق تحقيق رغباته واقعيا بتحقيقها في قصص مستحيلة يبتدعهـا في لياليه

محروم :

— يقدّم —

وحي الحرمان

مجموعة شعرية تعود بالجزيرة العربية

الى مكانتها العالية في دنيـا الشعر

يرصد ريعه لجمعية اهل القلم

المؤرقة اللذيذة ... وعندما يخرج ثانية الى الطرقات في وضح النهار ، ما اجل ما يبدو كل شيء ! لماذا ؟ لأنه قد غمس كل شيء في افراح الصور التي خلقها في لياليه . »

فقال عفيف : « كدت تؤلمني . اني لأذكر كيف بكيت في احدى الليالي وانا في فراشي كالطفل الصغير ... »

فقلت : « ولكنك لن تبكي من اليوم فصاعداً. لأن سلسلة الخيبة الطويلة قد بدأت . فبعد العشرين تأتيك المعرفة ، وتتهدم امانيك حولك واحدة واحدة . لأن المرء بعد مراهقته لن يقنع بشيء . فمهما كانت معشوقته جميلة ، ومهما ادرك من منزلة في الحياة ، ومهما حصل على مال ، فانه يشعر ان ذلك ليس يكفيه : انه يبغي ما هو ابعد من ذلك ، ما هو اعلى واصعب واشد عنفاً . ليس للرغبات من نهاية ، وان تفقد جمالها . ولكنها اذ تتحقق بين يديه تتساقط كالقصور المتداعية . اما الشوارع القديمة ، فما عادت تزخر بالإثارة والمخاطرة — ان فيها كثيراً من الزوايا القبيحة والوجوه الدميمة . ولعله يتساءل حينئذ : ما هي نفس الانسان ؟ ان هي إلا مخزن اجتمعت فيه الصور الكاذبة ... واذا هو يلاحظ ان بيته ينقصه المطبخ النظيف ، ويدرك ان الناس الجميلين والاشياء الجميلة تسير يداً بيد مع المطابخ النظيفة . وهكذا ينمى شعر الحياة شيئاً فشيئاً ويقترب من ثرها . واذا النساء اللواتي يملأن الشوارع ينظرن اليه متشككات متسائلات اذا انس منه اهتماماً بهن ، واذا الحب قد تحول الى عدم اكتراث ثم الى شهوة في المضاجعة ، او لا شيء مطلقاً ... حتى نوافذ الدكاكين ، وهي تتوهج الواناً لمتعة العين ، تكتسب عنده مغزى جديداً : مغزى الإثارة الجنسية وقد ارتبطت بالمادة الدنيوية التي لم توجد في الحياة إلا للأقلاء ... ولعل صاحبنا في هذه الاثناء قد جمع من المال ما يمنع عنه غصة الألم عندما يدرك كل هذا ، غير ان مخيلته ستعرف انها انخدعت ، وكل شيء حوله يثبت هذا الانخداع . انها بداية النضج : خيبة إثر خيبة إثر خيبة ... »

★

لم تكن اميرة تعرف شيئاً من هذا . ولعلها كغيرها من النساء فكرت في الزواج، فعرفت الخيبة اذ لم تتزوج. غير انها لم تشر قط الى هذا الموضوع. وقد نشأت في جو ترعرعت فيه آلاف من نساء الجيل الجديد ، ذلك الجو المظلم المزدحم بالآدميين من كل عمر ، حيث تمتزج رائحة المطبخ مع رائحة المرحاض ورائحة مساحيق التجميل ، حيث الغرفة الواحدة تتسع لعشر انفس، حيث يرى الولد امه تصرخ في ألم المخاض ، وتسمع البنت اباها يتفوه بأفحش السباب .

وهو جو مفعم بالتناقض. فأبو اميرة وامها اميان، ولكن اميرة واخوتها قد انهوا الدراسة الثانوية ويطالعون الكتب العربية والانكليزية بكثرة . نشأ الاب والام في احضان الفقر ، فاعتادا كل ما يلازم الفقر من شظف، وقذارة ، وقسوة ، وانعدام الذوق ، والزهد في الملابس الانيقة ، ونشأ الابناء في فقر ، ولكنه ليس بالمدقع ، واتصلوا بالحضارة الجديدة التي غزت الطرقات والبيوت والكتب والمجلات : فاذا ما بلغوا سن الادراك ، ثاروا على الشظف والقذارة ، وطلبوا ما لم يكن في حسبان والديهم من الملابس الانيقة ، والغرف النظيفة والطعام الشهي . ولكن من اين لهم المال لذلك ؟ وهم لو عاشوا في القرن الماضي ، لما طلبوا من ذلك شيئاً ، بل لأقتدوا بوالديهم باللباس والعادات والرغبات . ولكن الحياة في الثلاثين سنة الماضية تغيرت بطفرة واحدة تغيراً يكاد يكون كلياً . وهو ليس بالكلي ، لأن الجيل القديم ما زال على قيد الوجود ، يفرض ارادته على البنين والبنات ما استطاع ، ويطالب بطاعتهم . اما البنون والبنات فقد وقعوا بين فكين رهيبتين : فك العتيق ، وهو ما زال قوياً قوة الآلهة ، وفك الجديد يغريهم بسعادة غامضة لذيذة يتوقون اليها ، دون ان يدركوا تفاصيلها وما تنطوي عليه من شقاء جديد .

كثيراً ما كنت اتساءل : ترى ماذا تقول اميرة لنفسها حين ترى امها تلبس احط الثياب مصرة عليها ؛ وتمشي بين جوانب الحي حافية القدمين مصرة على ذلك ايضاً ؟ وهل هناك قوة تحت السماء تستطيع ارغام ام شديدة العناد كأمها على تبديل عادات ماضيها ؟ اما اميرة نفسها ، فقد قذف بها رد الفعل الى الطرف الآخر : فهي تتأنق بملابسها تأنقاً زائداً . وقد استطاعت بعد كفاح طويل مع والديها ان تستعمل مساحيق التجميل ، ضاربة بمعارضتها عرض الحائط . وكلما اشتد الوالدان في التعبير عن ضرورة التزمت الخلقي، وبخاصة من حيث العلاقات الجنسية، ازدادت هي شعوراً بتفاهة الموضوع. ولاحظت ان الجيل القديم يغرق في الصراحة الجنسية في الكلام ، رغم تشدده في ضرورة العفة المطلقة . اما هي فقد جعلت ترى في تلك الصراحة الكلامية قبحاً لا تطيقه ، بينما غدت العفة في رأيها مسألة حب او عدمه ... اما الحب فقد امسى امراً خطيراً في نظرها، ولكنها ادركت ان جيل والديها لا يعتبر الحب الا مسألة نظرية اوجدها المغنون تجارة لانفسهم . بل ان الحب ، وان يكن مصدر القصص والاغاني والفنون في اجيال الانسانية قاطبة ، لم يكن في نظر التقاليد إلا امراً قبيحاً محرماً ، يغضب الواحد اذا نسب اليه او الى احد ذويه ... وهكذا اشتد التناقض ، واشتدت الفكان في ضغط لايرحم .

ولا انكر انني ، حين رأيت كل هذا بعين الفاحص المدقق ، شجعت اميرة على ثورتها رغم اعتقادي بسخافة الجزء الاعظم من عواطف الانسان. فقد كنت حاقداً مثلها ، اريد الخروج على تلك الحياة التي ترغمنا على البقاء في ذلك الحي ، حيث الزقاق يؤدي الى الزقاق، بين جدران عالية تبين النوافذ فيها كأنها افواه فغرت بلاهة ، او كأنها افواه تفتحت ما استطاعت لتحظى بقليل من الهواء . وكانت تلك الجدران تهتز في بعض الليالي من وقع اقدام الراقصين وهم يدبكون في عرس هذا او تلك ، فينبعث من الشبابيك صوت التصفيق والغناء وضحك المدعوين . ولكن كثيراً ما انطلق من تلك الفجوات صوت البكاء ليسمعه سكان الحي بأجمعه ، دون ان يأبه له احد : او ليس لكل انسان بلواه ومأساته ؟

★

غير اننا — ما دمنا نخشى الجهر بما بيننا من علاقة — عيينا عن التمتع بشيء

صدر حديثاً

١٠ قصص عالمية

تمثل انتاج الجيل الجديد من ادباء القصة في العالم

وقد فازت بجائزة جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون »

نقلها عن الفرنسية

الدكتور سهيل ادريس

دار العلم للملايين — بيروت

الثمن ١٥٠ قرشاً لبنانياً أو ما يعادلها

واحد : الخلوة . الخلوة مع شيء من الراحة . حتى صرنا احياناً نخشى المقابلة لما تفرم فينا من لهب لا نستطيع لها علاجاً . فقالت اميرة :

« اما هناك من طريقة ؟ لقد سئمت ظلمة الشارع ، وكرهت دكان نصر سلامة . اريد ان اكون معك وحيدة ، بعيدة عن كل خوف . »

— لن نجد الخلوة إلا اذا خرجنا عن المدينة .

— الى اين ؟

— الى .:. جبل برعم مثلاً .

فقالت متحمسة : « اذن لنذهب الى هناك ! »

— ولكن ، ألا تخافين ؟

— مم اخاف ؟ ألست معي ؟ ألا يكفيني ذلك ؟

— اميرة ، انك اشجع نساء الارض ! انذهب غداً بعد الظهر ؟

— غداً بعد الظهر . سأنتظرك في الشبـــاك في الساعة الرابعة . اتعرف الطريق ؟

— شبراً شبراً ، منذ ايام الطفولة . كثيراً ما كنت اذهب مع رفاقي الى الكروم التي على جوانب جبل برعم، فنسرق العنب والمشمش، ونعود واكثرنا موجع المعدة لكثرة ما اكلنا من فاكهة فجة .

— اذن ستسرق شيئاً من الفاكهة لي انا هذه المرة !

وفي الرابعة من اليوم التالي مررت بالنافذة حيث كانت في انتظاري ، ثم استمررت في المشي حتى بلغت نهاية « شارع الظلمات » ، وهناك بعد دقائق جاءتني اميرة ، ومشينا نحو الجبل ..

وقد استغرقنا الصعود الى احد مرتفعاته حوالي ساعتين لم نشعر بهما . فقد سرنا في فجاج متلوية وطرقات صخرية ، تطل علينا من فوق الشجيرات البرية والاشواك، وتنحدر عند اسفلها جوانب الجبل محملة باشجار الزيتون والمشمش واللوز ، الى ان تبلـــغ بطن الوادي المعتم بخضرته الكثيفة . وعلى الجانب الآخر، عبر الوادي ، جبل آخر كثير الصخر والشجر ، وحولنا اينما نظرنا تلال متلاحقة تقل خضرتها قتاماً كلما ابتعدت ، الى ان تمخر اجواء من الغمام الشفاف ، فتزدهي فيها الالوان ، حتى اذا بلغت حواشي الافق امتزجت في

الى اساتذة الانشاء

في اقطار العروبة جميعاً

•

لقد اجمع المربون عـــلى ان سلسلة « كيف اكتب » المصورة هي افضـــل ما وضع لتعليم الانشاء في المدارس الابتدائية . فراجعوها قبل ان تقرروا كتب الانشاء للعام القادم تخدموا طلابكم وتوفروا على انفسكم كثيراً من عناء هذه المادة الاساسية من مواد التعليم .

وتقع السلسلة في اربعة اجزاء ملونة وهي من تأليف جماعة من الاساتذة الاختصاصيين

دار العلم للملايين

ذوب من البنفسج الشاحب ، كأنها تجوس اعماق نوم ذهبي الاحلام ...

لن ادعي بأن اميرة رأت كل ذلك بعين يقظة ، عطشى الى المنعطفات والقمم المتباعدة والالوان المتمازجة في سحر العصر . غير انها استسلمت لمـــا تراه دون وعي ، ككل امرأة سليمة الحواس والعواطف ، دون ان تنتبه الى ما يثير ذلك في نفسها من احاسيس . فانطلقت في مرح لم أر مثله فيها من قبل ، بل ان ضحكتها نفسها بدا فيها رنين لعلها لم تعرفه ايضاً من قبـــل . ولعلها ادركت ، حين جلسنا خلف صخرة متعانقين ، انها امست جزءاً من الصخر والشجر والغمام ، وان لم تفصح عن ذلك بالكلمات . حسبها الآن ان تستلقي على ظهرها ، وتستسلم للهواء الهاب على جسمها ، وان تنظر الى السماء البعيدة، فتجد في زرقتها الصافية انعكاساً لنفسها . وقد شعرت انني اتلمس بيدي بل بحواسي كلها، افكارها العابرة ، والصفاء الرائق الذي طفق ينجلي في ذهنها واذا صفاء مثله ينجلي في ذهني ، فاشعر باتساع السماء في نفسي ايضاً .

واذكر كيف اختلط شعرها بالحشائش التي تحت رأسها وهي تقـــول : « لا غيوم في السماء ... حتى ولا غيمة واحدة . » فادركت ان الغيوم التي في نفسي قد انقشعت ، ولو لبرهة قصيرة ، استسلمت فيهـــا للهواء والتراب ، للصخر والنبات ، وامست اميرة حين المسها زهرة انبثقت من تربة انعدم فيها الماضي والمستقبل ... اترى احبها اذن ؟ أأحبها ؟

وانحنيت فوقها متمتماً : « اميرة ، اميرة . » وانطبق فمي على شفتيها، وجسمي يلتهب على جسمها. فنسينا ان النهار قد ولى ، والشمس قد غابت.

واذا بيدين قويتين تطبقان على خاصرتي بغلظة . فالتفت منذعراً ورأيت رجلاً شرس الوجه في ملابس البدو منحنيا فوقي ، كأنه هوى من السماء ، وزمجر : « ابتعد ! » ودفعني بعنف ، وفي الحال انتنت ركبتاه ، وانطوى فوق اميرة .

وزعقت اميرة ، وقد اصابها الرعب ، ولم تستطع حراكاً .

اما انا فبعد عدة ثوان ، عندما ادركت ما حدث ، طار رشدي ، ولم أع تماماً ما الذي افعل . فتلفت حولي ووقعت يدي على حجر اخذته بيدي، وبكل ما اوتيت من عزم رفعته ، وأهويت به على رأس البدوي .

فانفجر الدم من رأسه متراشقاً على وجهي ومعطفي ، وسقط هامداً قرب اميرة . فجررتها بعيداً عنه ، وقد اغمي عليها . وصحت : «اميرة ! اميرة! » ونظرت الى معطفي الملوث ، وقلت : « لقد وسخت نفسي . »

ثم عدت الى البدوي ، وهو هامد الجثة ، وتساءلت هل مات ؟ هل مات ؟

ثم صحت بأمـــيرة ، ولكن مرت فترة كأنها القرن قبل ان تعود الى رشدها . وبعد قليل تجلى لها ما حدث . فأدهشني ما رأيت من رباطة جأشها حين قالت :

—« هيا اخلع معطفك ، واتركه هنا . لا، لنبتعد قليلاً ، وندفن المعطف ونغطي مكانه بالحجارة . »

ودون تردد اخرجت ما في جيوب معطفي من اغراض ، وركضنا الى كهف مجاور ، وجعلنا ننبش باظافرنا الى ان استطعنا ان نواري المعطف والمنديلين اللذين مسحنا بهما ما على وجهي من قطرات الدم .

وعدنا الى البيت ، تارة نركض وتارة نلهث . وقـــد عجزنا عن الكلام والتفكير . ولم اقبلها حين افترقنا . وذهبت تواً الى فراشي .

ولكن خلوة الفراش ارعبتني .

فقد كان ذلك الوجه الضاري يدنو مني بعينين ملتهبتين ويصيح: ابتعد!... وأرى نفسي كل مرة امسك بذلك الحجر الضخم واهوي به على رأسه ... هل مات ؟ لعـــله لم يمت ؟ سأذهب غداً الى الجبل لاتحقق ... لا . سأقرأ

الجرائد. لا شك انها ستذكر الخبر اذا مات . «جريمة غامضة على الجبل!» وسيتهم احد اقربائه . مضحك ! فظيع !

ورحت اتقلب في فراشي ، والسرير يصر تحتي متململا ، وانا اصارع ذلك الوجه دون انقطاع ، وهو يهوي علي متقداً بالشهوة . وانظر بين اللحظة والاخرى الى ساعتي في الضوء الداخل الى الغرفة من مصباح الزقاق ، فأحسبها واقفة . ولكنها تدق — والزمن لا يتحرك .

ابتعد !... ويهوي الوجه علي ، وآخذ الحجر واضربه به ، ولكنه ما زال يهوي ، يهوي ، وشواظ الغـريزة يتطاير من شفتيه . ابتعد !... ولكن — هـذا ليس وجه البدوي . هذا وجه اعرفه . انه وجهي ... وجهي ... ما زال يهوي على اميرة المستلقية على ظهرها ، ويصيح : ابتعد ! فاضربه من جديد ... انه وجهي ...

فلم اقو على البقاء في الفراش ، وقمت ولبست بنطلوني وقميصي ، وجسمي حار يتصبب منه العرق ، وخرجت الى الزقاق استنشق هواء الليل .

فخيل الي انني اسمع اصواتاً لم اعرف مصدرها اول الامر. فأرهفت السمع وما زال الخوف مرابطاً بين ضلوعي . واذا الاصوات تأتي من اتجاه بيت اميرة . فمشيت حذراً نحو بيتها ، الى ان وقفت قرب النافذة. ولم يبق عندي شك حينئـذ . هذا صوت اميرة تصرخ بين يدي ابيها فيسمع صراخها رغم النافذة المغلقة . وهذه امها تصيح بها وابوها يشتم ، ولعلهم قضوا الساعتين الاخيرتين كذلك.ولم يكن عسيراً علي ان اتبين بعض الكلمات: «عاشقة... عاهرة .. الناس ... فاجرة ... فضيحة ... »

فتصورتني اقتحم الباب ، وانقض على الاب ، وانقذ اميرة ، واهتف : سأتزوجها غداً !

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث . لقد ارتجفت اوصالي غضباً واشمئزازاً ، اتكأت على الجدار ، وقد تسمرت في مكاني ، مدة من الزمن . ثم عدت الى غرفتي ازحف زحفاً كالكلب الجريح ، وانا اقول لنفسي : سببت العار لأميرة المسكينة ، وقتلت رجلا لا اعرفه ... ام انه لم يمت ؟

واخيراً ، عندما طلع الفجر ، كنت قد صممت على شيء واحد اذا افتضح الامر ولا بد من ستر للعار: ساتزوج اميرة حالما اجد عملا يكفل لنا العيش.

ولما خرجت ، والشمس ما طلعت بعد ، ومررت بالنافذة المعهودة ، كانت مغلقة . فرحت اتمشى في الشوارع وقد بدأت تستجمع نشاطهـا ، وانتظرت صيحات باعـة الجرائد . ثم جلست في مقهى ، حيث شربت ثلاثة فناجين من القهوة ، وحدثت الولد الذي جاءني بها ، كأن الدنيا لم تعرف إلا الصداقة واللطف بين اناسها . وبعد قليل كنت قد اشتريت جملة من جرائد البلد ، لم يكن فيها — بالطبع — نبأ عن جريمة في الجبل .

وعدت الى الدار ، والنافذة ما زالت مغلقة.

وبقيت مغلقة ثلاثة ايام متوالية لم انم خلالها ساعتين متواليتين . وكنت كل يوم امر بها عند الفجر في طريقي الى المقهى ، ثم اعود حاملا الجرائد التي لم تذكر شيئاً عن فعلتي . ورغم خوفي من ان اجد نبأ عن مقتل البدوي كلما تصفحت جريدة ما ، كنت اشعر بالخيبة اذ لا اجد فيها اية اشارة اليه . ولكن آلمني الا اجد اميرة تنتظرني في الشباك ، فاشتد اضطرابي وساورتني المخاوف عن مصيرها. ورحت اشتهي سماع صوتها ولو بكلمة واحدة، واتحرق الى لمسة من يديها .

وغداة اليوم الرابع جاءتني رسالتان ، احداهما من المصرف العقاري الذي كنت كتبت اليه طالباً وظيفة ، والاخرى معنونة بخط لم اعرفـه . ففتحت رسالة المصرف اولاً باصابع متلهفة ، واذا المدير يريد مقابلتي بشأن العمل . وقفزت من فرحي ، ونسيت فض غلاف الرسالة الاخرى الى ان استقر قلبي قليلا . ثم فضضتها واذا بها في سطر واحد :

« اني في حاجة اليك . مر بي يوم الاربعاء في الساعة الرابعة . »

(أ .)

وتذكرت حينئذ ان تلك اول مرة ارى فيها خط اميرة .

★

لم تذكر اميرة شيئاً مما حدث لها ، بل انها ادعت انها فتحت النافذة عدة مرات، ولكنني لم امر بها ، وبما انني ادركت ان الاشارة الى الشجار الذي سمعت بعضه قد يجرح احساسها، لم اسألها عنه ، بل اخبرتها في كثير من البهجة بانني سأتوظف عن قريب .

كان ذلك على ما اذكر في اوائل حزيران ، لأن مدير المصرف ، بعد ان قابلته ، اخبرني بانني سأبدأ العمل في اول تموز . غـير ان ذلك الشهر الاخير من البطالة كان أغرب شهر في حياتي،اجتمعت فيه شتى انواع المضض: مضض الفراغ ، مضض التوقع ، و....مضض الحب .

ألم أقل انني لم اشعر تجاه اميرة بما كنت اتوقعه من خلجات الحب ؟

لقد تجمعت الحوادث وتلاحقت حثيثة في ذلك الشهر القـائظ (بعد ان نسينا البدوي الذي لم نعثر له على خبر فتيقنا انه لم يمت) . وكان في أول اسبوع منه ان استدنت من عفيف الاسمر شيئاً من النقود وعدته بتسديدها في آخر الشهر التالي عندما اتسلم اول رواتبي ، و « ضمنت » كرماً في قرية مجاورة ، كان فيه ما يسميه القرويون « قصراً » ، وهو بيت بسيط من حجر دون طين ، يقام على مرتفع في الكرم لكي يسكن فيه صاحب الكرم او ضامنه اثناء موسم العنب . وكانت اميرة نفسها صاحبة الفكرة ، إذ قالت :

—«اولاً، اجرة الكرم زهيدة . ثانياً ، فيه هذا القصر الذي يمكن وضع شيء من الاثاث البسيط فيه دون مشقة . ثالثاً ، من يعرف من يأوي الى الكرم في المساء، والبيوت من حوله متباعدة والطرق غير مضاءة ؟ رابعاً...» وهكذا راحت تقنعني ، وما بي حاجة الى الاقناع .

وحالما تسلمت الكرم ، احضرت الى «القصر» فرشة عتيقة ، وعدة صحون

كنوز القصص الإنساني العالمي

سلسلة جديدة تعرّف القارئ العربي إلى شوامخ الآثار القصصية العالمية ذات النزعة الإنسانية

اختارها ونقلها الى العربية

منير البعلبكي

صدر منها		ق . ل
١ – كوخ العم توم (الطبعة الثانية)	لهرييت ستاو	٢٠٠
٢ – اسرة آرتامونوف (الاول)	لمكسيم غوركي	٣٠٠
٣ – « « (الثاني)	لمكسيم غوركي	٢٥٠
٤ – المواطن توم بين (الاول)	لهاوارد فاست	١٥٠
٥ – المواطن توم بين (الثاني)	« «	٢٠٠
٦ – ستة وعشرون رجلا وفتاة واحدة	لمكسيم غوركي	١٠٠
٧ – حكايات من ايطالية	« «	١٠٠
٨ – شارع السردين المعلب	لجون شتاينبيك	١٧٥

وكؤوس . وفي المساء التالي كانت اميرة تتمشى معي بين الدوالي الغبراء ، ولكنها لم تطل المشي . فقد اوينا الى القصر ، وأضأنا شمعة ، سرعان ما اطفأناها ، مؤثرين عليها ضوء النجوم يجيئنا من النافذة الوحيدة، ذات القضبان الحديدية ، والتي لا باب لها يغلق . وكان ذلك ضوءاً كافياً ارى فيه الجسد الجميل الذي يعانقني .

وبعد ساعة من الزمن اخذت صديقتي الى الطريق العام حيث استقلت الباص الذاهب الى المدينة ، بعد ان وعدتني بالمجيء غداً . وانتظرت حتى جاء الباص التالي ، فركبته بدوري .

وفي المساء التالي انتظرتها بلهفة . ولما جعلت اتفقد الاشجار الست او السبع الهزيلة التي في الكرم ، كنت بين لحظة واخرى اشرئب بعنقي نحو الطريق الصخرية لأرى هل جاءت . وانتظرت حتى الثامنة ، ثم التاسعة ، ثم العاشرة . ولم تجيء اميرة . وكان الباص الاخير قد ذهب ، فتحتم عليّ ان امشي الطريق كله الى المدينة .

ولم أر أميرة في النهار التالي . ولكنني عندما كنت عائداً في الليل من بيت عفيف الاسمر ، دخلت « شارع الظلمات » ، فرأيت من بعيد فتاة ورجلاً يخرجان من ذلك المنعطف قرب دكان نصر سلامه ويسرعان في المشي ، فضحكت لنفسي وقلت : « أعاشقان آخران ؟ » ثم قلت : « ما اشبه مشية تلك الفتاة بمشية اميرة ! » ولسبب ما شعرت بشيء من الراحة كأنني فعلاً رأيتها .

والتقينا في المساء التالي في الكرم ، فاحسست كأنما السماء تضحك لي حين ضممت اميرة الى صدري ، ويا لعنف تلك الرغبة الحلوة التي تتفجر من القلب ولا تغيض ... شرحت لأميرة بؤسي وألمي لعدم رؤيتها يومين اثنين وقلت : « ولكنني رأيت عاشقين مثلنا في شارع الظلمات امس، وظننت ان مشية الفتاة تشبه مشيتك . »

ولم تنطق اميرة ، بل بدا لي في الظلام انها ارتجفت قليلاً ، فضممتها الى صدري قائلاً : « اخشى عليك من البرد . »

وقبل ان ارافقها الى الطريق العام كان عندها اقتراح . قالت :

—«أخاف اذا تغيبت في اكثر الامسية عن البيت ان يرتاب اهلي في الامر . لأنني أدعي دائماً انني اسهر عند سامية او غيرها من صديقاتي . فما رأيك في ان نلتقي هنا في الصباح حتى الظهر ، ثم لا نلتقي في بقية النهار ؟ أليس ذلك افضل ؟ يمكننا ان نفعل ذلك على الأقل الى ان تبدأ عملك . »

وفي العشية اللاحقة مشيت في الشارع المعهود ، وخيل إلى انني،حين مررت بدكان نصر سلامه المغلقة ، سمعت حركة من داخل الدكان تلتها ضحكة خافتة هبطت لها احشائي رعباً . أأعود لأتأكد ؟ لقد ظننت انها ضحكة اميرة ... وهم كريه ! وثابرت في المشي الى البيت .

ولم تجيء الى الكرم في الصباح التالي كما وعدت . ورحت اتقلب على الفراش العتيق وأكاد امزقه باسناني ... لا ، ليس هذا حباً ! انني لا احب اميرة . إنما انا اقضي فراغي معها ... صحيح ؟ أليس هذا الاحساس المؤلم في مؤخر العنق ألم الغيرة ؟ الغيرة ؟ وهل يغار إلا من يعشق ؟ ولكن الغيرة ممن ؟

الغيرة من رجل لا تراه ولا تعرفه . من يدري لعل تلك الضحكة التي سمعتها امس هي ضحكتها ؟ وأن الفتاة التي رأيتها تسرع مع صديقها هي اميرة؟

مستحيل ! أتستطيع ان تتغيب عن البيت كلما طاب لها ذلك ، لعل عائقاً ، اي عائق ؟ امها ؟ عشيقها ؟

انني في الواقع لا احبها . لا ابداً !

وعندما جاءتني في الصباح التالي هاجني مزيج من الكره والنشوة . وعنفتها لأنها خذلتني امس . ولكنها علت غيابها بحجة بسيطة ، فارتميت على صدرها وهمست همساً كالحشرجة : « اميرة ، اميرة . اني احبك ، اعبدك ! »

وضحكت ضحكة طرقت اذني كالغناء .

وفي تلك الليلة مررت بدكان نصر سلامه، وارهفت السمع، على كره مني، فسمعت اصوات حركة خافتة تصدر منها، مع انني لم أر بأسفل الباب اي نور فيها ... وجعل قلبي يضرب ضلوعي كالمطرقة . وهلعت فجأة لوقوفي هناك ، فمشيت حتى بلغت اول الزقاق ، وانتظرت .

لقد انتظرت هناك كالقاتل في انتظار فريسته.ولكن مر بي بعض الجيران، منهم من كان في بيجامته او قميص نومه ، ومنهم من رفع يده الى رأسه باشاً لي قائلا : « مساء الخير» ، فاضطررت الى رد التحية بشيء من اللطف .

وبعد اكثر من ساعة خرج من الدكان التي اراقبها من بعد شخص مشى في اتجاهي ، ثم شخص آخر مشى في الاتجاه المعاكس . وكان القادم نحوي امرأة لم استبنها في العتمة .

ومشت نحوي في خطى ثابتة .

وامسك بعنقي ذلك الوجع اللعين الذي تشنجت منه عروق رأسي .

فقد كانت تلك المرأة اميرة نفسها .

دنت مني في براءة الحمل وقالت :

— « تنتظرني ؟ »

ولكن يدي اجابتها بأن هوت على وجهها بلطمة عاتية كادت تسقطها على الارض . وتركتها في مكانها وانصرفت .

★

ليلة اخرى بلا نوم . ليلة اخرى اقحمتني في الجحيم .

كان علي ان اتخذ الحذر وانا مندفع في نظرياتي ، ولكنني لم افعل .

وكان من المضحك انني زلقت في تلك الارض الخطرة ، ولم يطل بي الامر ، واذا انا اهوي دفعة واحدة في المهاوي التي كنت حسبتني في مأمن منها ، واذا انا اتقلب في الاعماق الشائكة ، حيث الالم والارق ، حيث القلق والتساؤل ، حيث اللذة الرهيبة التي لا تزداد الا بازدياد الشك ، ولا تشتد إلا باشتداد العذاب .

صدرت عن

دار العلم للملايين

الطبعة الثانية من كتاب

« المرأة جسد وروح »

للدكتور جورج صنا

ثورة على التقاليد البالية ، ودعوة الى الحرية الصحيحة، ودفاع عن المرأة يمتاز بالصدق والقوة والصراحة .

الثمن ليرة ونصف — دار العلم للملايين

وبكيت — كما قال عفيف — كالطفل الصغير .

وفي الصباح التالي مررت بشباكها ورأتني ، إلا انني اشحت بوجهي عنها . وذهبت الى الكرم وكلي امل في مجيئها رغم ما حدث البارحة ، وكلي خوف من مجيئها بعد ما حدث البارحة .

وجاءت .

واقبلت على شفتيها اقبلها بنهم ، كأنني لم ارها منذ سنوات . واخبرتها بما سمعت ورأيت في الليلة السابقة . ولكنها اقسمت انني توهمت . وانها لم تخرج من اي دكان ، بل كانت قادمة من بيت سامية . وبخت نفسي على سوءظني .

وحين توالت تلك الايام ، راحت الساعات تلفني في غيمة من الظلام لا ارى خلالها إلا وجهاً واحداً : وجهاً جميلا مثيراً ، اذا تحركت فيه الشفتان بابتسامة رقص قلبي ، وشعرت ان الحياة قد تركزت بينهما ، وانني سأصل نفسي بالحياة حين امسها — الحياة ، الحياة .

وإلا فما الذي ابغيه ؟ مسائل الفكر ؟ النظريات الذهنية ؟ المال الكثير ؟ لا . الحياة انما تتزين بهذه زينة خارجية . اما انا فاريد الحياة في شكلها الخام : الألم ، الغيرة ، الانتظار المضني ، ثم تحقيق الرغبة تحقيقاً عنيفاً ، صاخباً . فالحب رقص . لا رقص شرقي تتلوى فيه الراقصة وهي واقفة في مكانها تهز البطن والارداف ، لا . بل رقص منطلق ، سريع الحركة ، يجاري الريح والحيوانات الراكضة والمياه الجارية . وقلت لنفسي : هذا ما اريد ! وأنا اعلم انني ساسقط في النهاية منهكاً ، وفمي يلهث على التراب ، ووجهي يتمرغ على الحشائش .

وصدرت اخيراً تلك الكلمة الغامضة المخيفة عن شفتي : الزواج . قلت لأميرة ، وهي بين ذراعي :

— « بعد ايام لن اكون عالة على احد . فاستطيع حينئذ ان أهيىء لك البيت الذي تريدين . »

قالت : ماذا تقصد ؟

— اقصد اننا سنتزوج ، فنكون اسعد المتزوجين اطلاقاً .

— وما الذي يحدو بك الى هذا الظن ؟

فقلت في شيء من الدهشة : لأننا نتزوج عن حب واختيار ، بينما لا يتزوج اكثر الناس إلا عن مصلحة . طبعاً لا بد من فترة بضعة اشهر للخطبة ريثما اوفر شيئاً من المال .

غير انني صعقت حين خلصت اميرة من بين ذراعي وقالت : « اعطني مهلة لأفكر في الأمر . »

فصحت : ولمَ المهلة ؟ الا تحبينني ؟

— ما اسخف سؤالك ! وهل أتحدى هذه الاخطار كلها ، واقابلك بين ركام الحجارة في هذا الكرم العتيق لو لم احبك ؟

— إذن لم المهلة ؟

— اتريدني ان القي بنفسي على قدميك في الحال ؟ الا تظن انه من الحشمة على الاقل ان أُعطى وقتاً للتأمل في مسألة خطيرة كالزواج ؟ وانت تعلم ان حالتك المادية ...

فشعرت انني اسمع صوتها لأول مرة ، بل ان وجهها جديد عليّ . وعجزت عن الكلام ، الى ان قلت في النهاية : « حسناً إذن . كما تشائين . »

وبعد يومين — يومين اثنين — انتشر الخبر في الحي باجمعه .

لقد باع نصر سلامه ، صاحب دكان الحرائر والاصواف في شارع الظلمات حانوته ، وخطب اميرة عائش ، وسيتزوجان بعد اسبوعين ، ويذهبان الى الاسكندرية لقضاء شهر العسل ، الخ ، الخ ...

وانسدت النافذة المهودة ، واختفت أميرة عني .

★

خيبة إثر خيبة — ذلك هو النضج . ذلك ما قلته لعفيف . إذن فلتكن هذه مرحلة اخرى نحو النضج .

ولكن اي نضج ذلك ، وأنا اتقطع غيرة وعشقاً ومهانة ؟ لقد جعلت اميرة مني أبله ، بينما كنت اتصور نفسي في دور الغاوي الذي يزجي ساعات فراغه باثارة عواطف امرأة ما دون ان تثير هي عواطفه ! لم تغب اميرة لحظة عن فكري طيلة الايام التالية ، والمرارة تملأ نفسي . لم اذهب الى الكرم مرة اخرى ، وحتى النافذة المغلقة تجنبت النظر اليها ما استطعت ، كانني اتجنب النظر الى اميرة نفسها ، وقلت مردداً : « يجب ان انساها . يجب ان اقتلعها من فكري ، واجتثها من بين عظامي . لقد كانت كالمرض ، والحمد لله الذي انقذني في اللحظة الاخيرة . » إلا انني كنت في قرارة ذهني اعلم انني ، لو جاءتني منها كلمة — كلمة واحدة — لأقبلت على ذلك المرض واعدته الى مكانه بين عظامي .

★

وبعد حوالى ثلاثة اشهر جاءتني منها رسالة .

وكنت بعد ان تسقطت اخبارها ، قد علمت انها عادت الى المدينة مع زوجها وسكنا في دار كبيرة في (حي الصنوبر) ، ولعله اجمل احياء البلد . وكان زوجها قد افتتح مخزناً كبيراً في احد الشوارع الرئيسية .

جاءتني رسالتها دون توقيع ، ورغم ركاكتها ، فجرت قنبلة مريعة في صدري :

« اني تزوجت من غير ان اخبرك . ولكن ليس معنى ذلك انني لا احبك . هذه ظروف الحياة تلعب بنا ، ولكنها لا تقدر ان تتعدى على حبنا . أرجو ان تفهم الدافع الحقيقي لما فعلت . كان كل همي ان اخرج من ذلك البيت الذي كنت اكرهه كانه السجن ، ومن ذلك الحي الذي كنت امقت ترابه الذي يسفيه الهواء من النوافذ الينا .

« اما زوجي فرجل ممتاز .

« الا تريد ان تزورنا ؟ سنكون كلانا في انتظارك في الساعة السابعة من مساء الجمعة . »

(فظاعة ، فظاعة !) لم استطع النطق الا بهذه الكلمة . ولم استطع التفكير او التعليل . لقد كنت كمن لدغته العقارب — لدغته في كل موضع .

صدر حديثاً

المعجزة العربية

للأستاذ ماكس فانتاجو

وهو من الكتب النادرة التي اخرجها المستشرقون في الكلام عن فضل العرب على الحضارة وأثرهم البنّاء في التاريخ .

وقد نقله الى العربية الاستاذ رمضان لوند

دار العلم للملايين

اية جرأة تلك منها ، حين تتزوج عجوزاً طمعاً في ماله ثم تدعوني لزيارتها وزيارته ؟ انها لا تقصد إلا تسليط عقارب جديدة علي .

ولكنني كنت اشتهي رؤيتها . فأقول وقلبي يتقطع ، ما الضير في زيارتي لها ؟ لقد تم ما تم . يمكنني على الاقل ان ارى ولو للمرة الاخيرة ذلك الوجه الجميل ، وتينك العينين الواسعتين ، وتينك الشفتين المنتظرتين .

ولكنهما لا تنتظرانني انا . لا ، لن ازورها . لا اريد ان ارى عينيها او شفتيها مرة اخرى .

غير ان مخيلتي لم تخلص الي ، فجعلت تكشف لي عن يديها الذهبيتين وهما تلوحان أن تعال ، تعال ...

وحين ذهبت ماشياً في الوقت المعين الى بيتها ، كنت دون ارادة مني اتخيل اميرة في لون الغسق، في لون الذهب ، في لون الاحلام ، وهي تتهيأ لي . ولكن السيد نصر سلامه — من يدري كم يبلغ من العمر؟ — سيكون هناك في استقبالي . وعليّ ان اجعل الزيارة قصيرة ومحترمة .

وبلغت الدار . وقرعت جرس البوابة الحديدية .

وبرزت اميرة ، ونزلت الدرج ، وفتحت لي البوابة .

ودخلت .

★

« ليس في البيت احد. لن يعود نصر قبل مساء الغد . وقد ارسلت الخادمة لتستريح في بيتها.» كانت تلك اولى كلمات اميرة، بعد ان اغلقت الباب خلفي.

فتحجرت في مكاني ، وتمتمت ، وصوتي الابح يخرج من حنجرتي بمشقة ، « ولكن .. السيد نصر .. كنت اظن انني ... »

فضحكت وقالت : « سأعرفك به في مناسبة اخرى . اما الآن — » وارتمت بين ذراعيّ .

وما ان قبلتها قبلة جافة مرتعشة لم استطع ان اتذوقها ، حتى فاجأني هبوط لم اتوقعه . لقد كان ضرباً من الخوف ، او التردد ، حاولت عبثاً ان اقصيه عن ذهني .

غير ان اميرة اخذت بذراعي واقتادتني الى غرفة صغيرة فيها « صوفا » مغطاة بسجادة عجمية، وكرسيان كبيران مريحان، ومائدة صغيرة عليها كأسان.

واشارت الى النافذة قائلة :

— « لقد احتطت للامر من كل ناحية. فأذا حدث المستحيل، وفاجأنا احد، فما عليك إلا ان تقفز من هذه النافذة الى الحديقة الخلفية . ومن هناك تخرج من الباب الخلفي الذي تركته مفتوحاً . »

ولكن الخوف الذي فاجأني لم يكن سببه توقع المفاجأة . بل لعله لم يكن خوفاً ، بل شيء آخر .

ورغم ذلك احتويت اميرة بين ذراعي ثانية وقلت :

« حطمت قلبي يا اميرة . حطمت حياتي . »

فضحكت وقالت : « لا ، لا تبالغ . هل فوجئت بخبر زواجي ؟ »

— فوجئت ! لماذا لا تقولين هوجمت ، صعقت جننت .

فارسلت اصابعها في شعري والضحكة ترقص في حلقها : « كنا لا نعرف اين نذهب طلباً للخلوة . اما الان ... انتظر . ففي الثلاجة زجاجة شمبانيا ، وسأذهب لأحضرها . »

وخرجت من الغرفة ، في حين جعلت اتلفت حولي كانني اريد التعرف على تفاصيل الجو الذي اقتحمت فيه . أهذا اذن ما كانت تريده اميرة ؟ بيت انيق وزوج غني و .. عشيق ؟ لقد ادركت ، وانا قابع في انتظار زجاجة الشمبانيا ، ان اميرة لم تضحك مني فحسب ، بل هوت بي عن قصد في هاوية من الشهوة ، ثم غادرتني ساخرة . وما انا إلا عشيق تدعوني كلما شاءت لأمتعها ، مهما كانت العواقب — كما كانت تقول . واذا المرأة التي بانت لي حتى قبل لحظات كانها في لون الذهب ولون الاحلام،لا تبغي في الحقيقة إلا انتشالي من هاوية لتلقي بي في هاوية اعمق وأرهب . واذا تينك اليدان الجميلتان لا تسوقانني إلا نحو لذتها ، لذتها فقط .

وعادت تحمل زجاجة الشمبانيا في اناء فضي مملوء بالثلج (ولم اكن اعرف تلك الخمر البيضاء إلا من الكتب وافلام السينما) . ولما نظرت في عينيها شعرت ، كما شعرت مرة من قبل، بانني لم ارها من قبل في حياتي . ففي اتساع عينيها نهم ، وفي اصابعها القابضة على الاناء الفضي شهوة ضارية .

وكم حاولت ان انفض عني الخوف (ام كان ذلك اشمئزازاً ؟) فلم استطع . اما هي فراحت تصب الخمر ذات الفقاقيع في الكأسين ، وقدمت لي احداهما . وعندما مددت يدي لاتناولها ادنت خديها بحيث وقعت اصابعي على وجهها ، وقد اغمضت عينيها وتمتمت :

« اوه ... ما ارق اصابعك . »

وللحال تشنجت اصابعي كأنها تريد النزول الى عنقها .

وشربنا الكأسين ، وتلتها كؤوس . وخلعت معطفي ، وقد اضطجعت اميرة على الصوفا ، ثم عريت صدر تلك المرأة التي من اجلها ارقت الليالي وذقت مرارة خيبتي ، وهي تضحك لأقل كلمة ، والنيران في يديها وشفتيها .

ولكنني لم انتش بما شربت. بل شعرت بصفاء عجيب في رأسي . وانطفأت في صدري آخر جمرات الحب والشهوة . وعرفت ما الذي اوحى الي بالهبوط والخزف منذ ان تخطيت عتبة الباب.

لم اخف إلا من اميرة نفسها . لقد استلقت على ظهرها ، وهي تضحك وتمد ذراعيها الى الفضاء، وثرثرتها لا تنقطع . ولكنني كنت خائفاً من ضعفي انا إزاءها . لقد خفت مما في نفسي من رغبة السقوط في فخ شهوتها .

وانثنت ركبتاي على الصوفا ، وانحنيت فوقها ، واذا هي تنظر الي فتحتبس الضحكة في حنجرتها ، ثم تتسع عيناها رعباً ، وتلتوي شفتاها ثم تصيح :

« ما الذي حل بك ! ... ما هذا ! ... اوه ، البدوي ، البدوي ! »

واطبقت اصابعي على عنقها وصحت :

« فاجرة ، يا فاجرة ، كانا مثل ذلك البدوي ! »

وضغطت باصابعي حتى سال لعابها من زاويتي فمها ، وطفرت الدموع من عينيها الجاحظتين . فهويت بشفتي على صدرها ، وانا اعيد واكرر « فاجرة، فاجرة ، فاجرة . لن تخدعيني هذه المرة على الاقل . »

ولكنها لم تسمع شيئاً — لإنها غابت عن الصواب . واصفر جسدها وسرى في نهديها صقيع لمسته شفتاي .

فامسكت بزجاجة الشمبانيا المثلجة ، وجعلت أرش ما تبقى منها على وجهها وجسمها في طفرات متوالية ، حتى تبلل جسمها كله ، وسالت الخمر من على صدرها وبطنها الى اطراف السجادة التي تحتها .

وعندما تحركت عيناها ثانية كنت البس معطفي . وما ان خرجت من الغرفة ومشيت نحو الباب حتى سمعت حركة ورائي، ولكنني لم التفت.وفتحت الباب ، ونزلت الدرج متثاقلاً ، ومشيت نحو البوابة ، وفتحتها ، وسرت في الطريق المعتم بين صفين من شجر الصنوبر ، دون ان القي على البيت نظرة اخيرة .

وخيل الي ان السماء كلها تضحك ، وان المدينة بجلبتها وضوضائها ترقص وتغني . ولكن لم يكن في نفسي الا فراغ فسيح تحده فراغات لا تنتهي .

بغداد وكمبرج (ماساشوستس) **جبرا ابراهيم جبرا**